

الاجنبي الذي لا يطاق ، وكان تهديم التسلط التجاري لليهودي هو شرط نموها واستيلائها على سوقها « (٧) .

هذا الصراع الدامي أحيانا بين البرجوازيين من جهة ، وارتباط مرحلة نمو الرأسمالية بفكرة البحث عن سوق وطنية مستقلة (الدولة القومية البرجوازية) من جهة اخرى ، وجد صورته الأكثر وضوحا في تبني كل من البرجوازيين لفكرة القومية البرجوازية ، اذ بينما بدأت البرجوازية المسيحية تشدد في دعوتها لتوحيد الدولة القومية ، وتأمين السوق الخاصة الحرة لها، انطلقت البرجوازية اليهودية تفتش عن « سوق وطنية خاصة بها » تستطيع ان تتخذ منها قاعدة تنافس بها وتزاحم البرجوازية المسيحية ، الا ان افتقار هذه البرجوازية الى الاساس الطبيعي الذي تبنى بواسطته وعليه الدولة القومية البرجوازية (اللغة والارض والثقافة والمصالح المشتركة جميعها) وامتلاك البرجوازية المسيحية لهذا الاساس ، دفع البرجوازية اليهودية الى التفتيش عن اساس اخر تبني عليه دولتها العتيدة . وهكذا ، بعيدا عن جميع المقومات الاساسية لتشكيل الامة الواحدة ، وجدت البرجوازية اليهودية ضالتها المنشودة في الدين واعتبرت دعوتها القومية على اساس ديني سبيل الخلاص الوحيد لليهود مما يتعرضون له من اضطهاد وعزلة وعداء .

ان ايقاظ الحس الديني لدى اليهودي ، ودغدغة نوازعه الطبيعية والمشروعة للتحرر من الاضطهاد الذي مورس ضده قرونا طويلة في اوربا ، وتغذية تطلعاته العادلة للعيش بسلام ومساواة في مجتمع لا يتخذ من العداء له أساسا للتعامل معه . هذه الامال والتطلعات والاماني المشروعة كانت الورقة الذكية والمخادعة التي لعبت بها البرجوازية اليهودية على عقول وعواطف اليهود في شتى ارجاء الارض .

ان تحرير الانسان اليهودي ليست عملية منفصلة في مجتمع معين، بل لا يمكن ان يكون الاجزاء من تحرير الانسان كليا ، يهوديا كان أم غير يهودي ، ولقد كانت المطالبة بتحرير اليهودي في اوربا ، (واليهودي المطلوب تحريره هنا هو البروليتاري ، الكادح ، البسيط بالطبع ولينس البرجوازي القابض على زمام السلطة والمال) . مطلبيا منفصلا عن المطالبة بتحرير غير اليهودي ايضا ، اي المسيحي البروليتاري ، الكادح ، البسيط . كانت الطبقة المضطهدة واحدة : الطبقة الكادحة بشرائحها المسيحية واليهودية .

ولذا كان لا بد لمطلب التحرير هذا من ان يتجه الى جميع المضطهدين ، لا الى فئة واحدة منهم ، لان اتجاهه الى فئة واحدة يخفي خلفه خبث هذه الدعوة وعدم جديتها : « ان خلاص اليهود وتحولهم الى آدميين ، حيث يكون خلاص الانسانية وتحرر الانسان من اليهودية ، لا يمكن اعتباره مهمة خاصة باليهود بل مهمة عملية عامة للعالم الحديث ، هذا العالم اليهودي حتى النخاع ، وقد ثبت ان مهمة القضاء على الطبيعة اليهودية هي مهمة التغلب على يهودي المجتمع البرجوازي ، وعدم انسانية الوجود الواقعي الذي يبلغ قمته في النظام المالي » (٨) .

هذه الدعوة الى تحرير اليهودي وتشكيل الدولة القومية اليهودية ، وهي الدعوة التي انجبت الحركة الصهيونية فيما بعد ، دعوة خاطئة ورجعية في الاساس ، وهي مناقضة لقوانين التطور التاريخي ومعادية لحركات التحرر والتقدم ، بما فيها الحركات القومية حتى في ذلك العصر : ذلك لانها تركز في الاساس على الموضوعية الخاطئة والقائلة بإمكانية تحرير اليهودي في مجتمع غير محرر ، وامكانية فصل الاضطهاد الذي يمارس ضده عن الاضطهاد الذي يمارس ضد غيره . وهي رجعية في الاساس لانها دعوة البرجوازية التي وان كانت قد قادت حركة التقدم في مرحلة تخطيم الاقطاعية ، الا انها